ISSN: 1994-4217 (Print) 2518-5586(online)

Journal of College of Education

Available online at: https://eduj.uowasit.edu.iq

Trial of the dead in the afterlife at the pharaohs

Dr. Fadel Kazem Hanoun

Wasit University / College of Education for Human Sciences

Zainab Jabbar Jassim

University of Babylon

Email: fhannoon@uowasit.edu.iq

Keywords:

Pharaohs, trial, after death, underworld, Osiris.

Article info

Article history:

Received 29.Dec.2021

Accepted 17Feb.2022

Published 28.Feb.2022

A B S T R A C T

The Egyptians believed in immortality and the second life. They believed in the past that immortality belongs to the king. Kings are gods on earth and in the sky, and it is possible that some people who are sympathetic to the kings will have immortality because they will form a retinue for the king in the second world as they formed a kingdom on earth, then immortality here is not limited to the pharaohs only Rather, it includes the general members of the ancient Egyptian people, so it became one of the most important tasks of man in his life to prepare his eternal home in which he enjoys eternity. Thus, it became necessary for the deceased, first of all, to eat and drink, for his other life depended on that, just as his first life depended on those essential matters for the continuation of life, without which he suffers from the pain of hunger and burning thirst. On the other hand, the deceased needed to be presented to his family Everything he needs after his burial. As for the well-to-do deceased, they were, before their death, instructing the priests to make the necessary sacrifices for them, or for the family of the deceased to assign the priests to do so.

© 2022 EDUJ, College of Education for Human Science, Wasit University

DOI: https://doi.org/10.31185/eduj.Vol2.Iss47.3029

محاكمة الموتى في حياة ما بعد الموت عند الفراعنة

أ.م.د. فاضل كاظم حنون
جامعة واسط / كلية التربية للعلوم الإنسانية

م.م. زينب جبار جاسم
جامعة بابل

المستخلص:

آمن المصريون بالخلود وبالحياة الثانية واعتقدوا قديماً أن الخلود من نصيب الملك فالملوك آلهة على الأرض وفي السماء ومن الممكن أن يحظى بعض الأشخاص الذين يعطف عليهم الملوك بالخلود لأنهم سيشكلون حاشية للملك بالعالم الثاني كما شكلوا مملكة على الأرض، بعدها أصبح الخلود هنا لا يقتصر على الفراعنة فقط، بل إنه يشمل عامة أفراد الشعب المصري القديم، لذا أصبح من أهم مهام الإنسان في حياته تجهيز منزله الأبدي الذي ينعم فيه بالخلود ، وبهذا اصبح من الضروري للمتوفى قبل كل شئ أن يأكل ويشرب ، فحياته الأخرى متوقفة على ذلك كما توقفت حياته الأولى على تلك الأمور الأساسية لاستمرار الحياة والتي يعاني من دونها من ألم الجوع، وحرقة العطش، من جهة أخرى فإنَّ الميت كان بحاجة إلى أن يقدم له أهله كل ما يحتاجه بعد دفنه أما بالنسبة للمتوفين الميسورين فأنّهم كانوا قبل وفاتهم يكلفون الكهنة بتقديم القرابين اللازمة لهم، أو أنْ يقوم أهل المتوفى بتكليف الكهنة بذلك.

<u>الكلمات الافتتاحية</u>: الفراعنة، محاكمة، ما بعد الموت، العالم السفلي، اوزوريس.

التمهيد:

شهدت بلاد الرفدين ظهور العديد من دور السجلات وخزائن الكتب، أو ما يطلق عليها اسم (المكتبات) في الوقت الحاضر، وقد بينت احدى الدراسات المتعلقة بظهور المكتبات في تاريخ بلاد الرافدين، بان تلك الدور لم تكن في أول أمرها على النحو الذي يشهده اليوم من تصنيف وتنسيق وفهرسة وبناء خاص بها، بل كانت بشكل بسيط، ثم طرأ عليها التحسين والتطوير في فترات لاحقة، فضلا عن ذلك فقد كانت تلك الدور وخزائن الكتب، متكونة من مجموعة كبيرة من المدونات الرسمية والنصوص الدينية، علاوة على القطع الأدبية والتاريخية، وما يتعلق بأنشطة الحياة اليومية من بيع وشراء وما شابه ذلك (عواد : ١٩٤٨، ص٤٢)، وهذا يعني بأن الدور التي أشرنا اليها – أي المكتبات – لم تظهر في العصور الوسطى ولا الحديثة أيضأ، بل يرجع نشوئها الى عصور قديمة في بلاد الرافدين، وهي دلالة واشارة واضحة بأنه لولا ظهور تلك الدور والخزائن في العصور القديمة، لما ظهرت بالشكل المطلوب في العصور التالية .

وقد تنبه الآثاريون والباحثون في نتاجاتهم وبحوثهم، الى وجود نماذج عديدة من المكتبات في العديد من مناطق ومواقع بلاد الرافدين، حيث قد اتيح لعلماء الآثار الكشف خلال تنقيباتهم الثأرية عن العديد من خزائن الكتب والمكتبات القديمة، التي كانت مطمورة تحت الثرى، واحتوت كل منها على الآلاف من الألواح الطينية، ومن أهم النماذج لبقايا تلك المكتبات القديمة التي يمكن الاشارة اليها فحسب في هذا الموضع، هي مكتبات : (نفر، لجش، سيبار، كيش، شادوبم – تل حرمل – ، مكتبة الملك الاشوري آشور بانيبال، ومكتبة نوزي) (عواد : ١٩٤٨، ص ٤٤– ٧٦ ؛ عبدالله : ٢٠١٣ – ٢٠١٤، ص ٧٢ – ٨٥) .

ونظراً لأن بعض المكتبات التي أشرنا اليها أعلاه، قد كتبت عنها مؤلفات ودراسات عديدة بما فيه من الكفاية، لذا وجدنا من الضروري التطرق في هذا البحث، الى مكتبة أخرى كانت لها دور في حضارة بلاد الرافدين ، ألا وهي (مكتبة شمشارة) وللضرورة العلمية والتاريخية وجب تقسيم البحث على مباحث عدة وهي :

أولاً: دور التنقيبات الأثرية في العثور على مكتبة شمشارة

حين اتجهت النية لأنشاء سد دوكان، على الزاب الصغير(الأسفل)، قررت مديرية الآثار العامة في العراق، القيام بمسح أثري شامل للمنطقة، للتعرف على أزمنتها الحضارية، وألفت لأجل ذلك بعثة من العديد من الآثاريين، حيث تألفت من السادة (الدكتور بهنام أبو الصوف، ومحمد علي مصطفى ومظفر الشيخ) (صالح، ١٩٨٧: ص٧٦)، وقد بدأت تلك البعثة بمسح أثري للتلول الأثرية للمنطقة في عامي (١٩٥٤ و١٩٥٥)، وذلك من أجل اختيار أهم التلال منها لإجراء تحريات أثرية انقاذية منها، وعلى اثر هذا تم تسجيل نحو (٤٠) موقعاً أثرياً في منطقة الفيضان، بعدها اختارت أهم التلال وشرعت منذ عام (١٩٥٦) بالتنقيب في تلك التلال، وأرسلت من أجل ذلك العديد من البعثات للقيام بعمليات التنقيبات (باقر، ٢٠٠٩، ج١ : ص ٢٣٥- ٢٣٦)، والملاحظ أنه قد شملت التنقيبات المنتظرة والمستمرة سبعة تلول أثرية مهمة، وهي كالآتي : (كمريان، تل الديم) اللتان تقعان في الضفة الشرقية من الزاب الأسفل، اضافة الى التلال (قوره شينه، باسموسيان، كامه م، شمشارة، ودوو گردان)، وتلك التلال الأخيرة تقع بالجانب الغربي من الزاب الأسفل (باقر، ٢٠٠٩، ج١: ص ٢٣٦).

العالم السفلي

أهم الأسماء التي عرف بها العالم السفلي لدى المصريين القدماء هو (دوات)، وهو عالم تحت مستوى العالم، أشبه بمصر إذ يخترقه نهر وتتواجد على كلتا حافتيه ممرات طويلة ، وكهوف عميقة يتخذها الموتى مساكن لهم ، فتظهر خلال النهار قاحلة قفراء، يخيم عليها الحزن والكآبة، حتى إذا ما حل الظلام ، ونزلت الشمس في الغرب خلف تلك الجبال الخرافية "منو" ، سطع نورها على الموتى، وعندئذ يشاهدون فيها نور (رع) وجلاله(١)، وهذا الاسم يعد الأقدم إستعمالاً للدلالة على العالم السفلي، ثم استعملت إلى جانب هذا الاسم او اللقب، القاب اخرى تدل على العالم السفلي. فسمي مثلاً (ايمنت)، أي الغرب، و(حرت نثر) أي مملكة الموتى، و(ايجرت) أي العالم السفلي، و(قبحو) أي مكان الماء البارد، و(زرست) أي الأرض المقدسة و(تاعنخ) أي أرض الحياة، و(ثنت) أي المكان المرفوع إلى أعلى، فيما كان (اوزيريس)هو سيد الدوات التي كانت على صورة مصر (٢).

وقد أمن المصريون القدماء بوجود عالمين أحدهما سفلي يحكمه اوزيريس، وآخر سماوي يحكمه رع، كما وامنو بأن العالم السفلي يقع في الغرب لأن الشمس تغيب كل مساء في الغرب لتظهر من جديد في الشرق عند الصباح، لذا فانهم وجدوا إنَّ الشمس لابد ان تكون قد اجتازت عالماً يمتد تحت الارض، وهو ما تسبب في نشأة الاعتقاد بأنَّ هذا العالم هو عالم الأموات الذي لا يسمح للأحياء دخوله أو الحياة فيه، في الوقت نفسه أعتقدوا أنَّ الأموات ينزلون في الغرب، ويعيشون في عالم مظلم لذلك يسمى عالم الأموات باسم الغرب ويسمى الأموات بأهل الغرب(٣)، فقد أمن المصريون بأن أرض العالم السفلي أول الامر بانها ارض الظلام ، والنوم الثقيل ، وبيت الحزن والأسى للماكثين فيها . فهم ينامون بأشكال متنوعة ، ولا يتبادلون الزيارة مع اخوانهم ، ولا يعرفون امهم ولا ابيهم ، وليس لقلوبهم مشاعر نحو حياتهم وأطفالهم ، وهم في أرض الإله الذي ينادي الجميع فيخضعون له ويصلون له ، ويبتهلون اليه ، لأنه لا يبالي لهم ولا يهتم بأمورهم ، فهم في أرض الغرب والظلام ، والمكان السري ، وأرض اللاعودة ، والمنزل الذي لا وجود فيه ، وهي أرض الآلهة أو أرض الاشباح، أو أرض الصمت والسكوت، ومكان الجنازة ، والأرض اللامرئية، وهي العالم السفلي (امنت المشتقة من كلمة آمون)(٤) .

وقد آمن المصريون بالخلود وبالحياة الثانية واعتقدوا بأن كل مخلوق أكان إنساناً ام حيواناً له الحياة الثانية. لكنهم لم يعينوا نوع هذه الحياة وطبيعتها بل قالوا بأن كلاً من المخلوقات يحمل روحاً "ألكا" هي صورة مصغرة لصاحبها

وهي قرين صاحبها تظل حية سعيدة ما دام الجسم محفوظاً من الفناء. لذلك حرص المصريون على بناء المقابر الأمينة وعلى تحنيط الأجساد.

وقد اعتقدوا قديماً أن الخلود من نصيب الملك فالملوك آلهة على الأرض وفي السماء ومن الممكن أن يحظى بعض الأشخاص الذين يعطف عليهم الملوك بالخلود لأنهم سيشكلون حاشية للملك بالعالم الثاني كما شكلوا مملكة على الأرض، بعدها أصبح الخلود هنا لا يقتصر على الفراعنة فقط، بل إنه يشمل عامة أفراد الشعب المصري القديم، لذا أصبح من أهم مهام الإنسان في حياته تجهيز منزله الأبدي الذي ينعم فيه بالخلود(٥)؛ وبهذا اصبح من الضروري للمتوفى قبل كل شئ أن يأكل ويشرب ، فحياته الأخرى متوقفة على ذلك كما توقفت حياته الأولى على تلك الأمور الأساسية لاستمرار الحياة والتي يعاني من دونها من ألم الجوع، وحرقة العطش، من جهة أخرى فإنَّ الميت كان بحاجة إلى أن يقدم له أهله كل ما يحتاجه بعد دفنه أما بالنسبة للمتوفين الميسورين فأنّهم كانوا قبل وفاتهم يكلفون الكهنة بتقديم القرابين اللازمة لهم، أو أنْ يقوم أهل المتوفى بتكليف الكهنة بذلك(٦).

وقد حرص المصري القديم على تدوين التعاويذ والأدعية التي تعينه لرد شر الأعداء من جهة وتفتح للمتوفي أبواب العالم الآخر وتسمح له بالدخول عبرها، وايضاً حماية الميت من الجوع والعطش في العالم الآخر، والقدرة على اتخاذ اشكال مختلفة، والخروج نهاراً وليلاً لتناول ما يقدم من قرابين ، وبذلك فإنها ضرورية لتحقيق القوة، والسعادة بعد الموت للمتوفى(٧)، ولذا اعتقد المصريون القدماء أنَّ بقاء الميت حي وسعيد في العالم الآخر متوقف على معرفته بتلك الرقى، والتعاويذ السحرية، وكيفية تطبيقها(٨)، إذ إن امتلاك الميت ومعرفته للتعاويذ السحرية يعدان وسيلتان هامتان لإحراز القوة والنشاط بعد الموت، وهو ما يبدو طبيعياً حسب ما أوردته نصوص الأهرام بالنسبة للملك الذي يرتفع فوق البشر جميعاً بصفته الهاً أما ما يخص الأفراد أنفسهم فإن مفهوماً اكثر تبلوراً قد تطور تدريجياً ، وأصبح منافساً للمفاهيم التي تعتمد فقط على قوة السحر، يقضي بان سعادتهم في العالم الآخر هي الجائزة التي يحصلون عليها بشرط سلوكهم سلوكاً فاضلاً ومستقيماً على الأرض(٩) .

أما مصير الروح فكان البعض منهم يرى أنّها ترقى إلى السماء، وتستقل قارب الإله (رع) ومنهم من يرى أنها تحيا في عالم الموتى مع (أوزيريس)(١٠)، وقد آمنوا بأنها تبقى حية بعد موت الجسم، واعتقد المصريون القدماء أنَّ للإنسان سبعة عناصر ومقومات هي: (خت وهو الجسم المادي)، و(اب أي القلب المدرك)، و(كا أي النفس الفاعلة)، وهناك (البا وهي الروح التي تسري في الباطن والظاهر)، و(آخ أي النورانية التي تتكشف في الآخرة)، و(شوت أي الظل الملازم)، و(رن وهو الاسم الشخصي أو السمعة)(١١)، مع أنهم كانوا يرون أنَّ دوام شخصية الإنسان يعود الى الجسد وليس للنفس، أو البا أو الروح لأن النفس نفحة من الروح العلوي الناتج من جوهر الإله وهي ليست مخصصة لواحد فهي لا تحمل ذاتية الإنسان وعليه فان كل مراسيم الموتى تقام (للكا) وحدها(١٢) .

وبعد أن تغادر الروح الجسد لحظة الموت تطير متخذة صورة طائر، ويمكن أنْ تتغير حسب الشكل الذي تحب الروح أن تتخذه(١٣)، الصورة المألوفة للروح لدى المصريين، كانت هي صورة مالك الحزين أما في العصور المتأخرة فظهرت بصورة طائر له رأس انسان، وفيه ملامح المتوفى(١٤)، وقد صورت النقوش منذ أيام الأسرتين الخامسة والسادسة مصير الملك بعد الموت، الذي تصعد روحه إلى السماء التي تجسدها الآلهة (نوت) وتظهر النجوم على جسدها ليلاً فنوت كانت هي الواحدة ذات الألف روح، وهذه النجوم التي لا حصر لها لا تعود للملوك الموتى فقط بل انطوت على الموتى الاخرين أيضاً"(١٥)، وأعتقدوا أيضاً أنَّ الملك يجوب السماء نهاراً مع إله الشمس الذي يتلقاه بشكل حسن، ويهيء له مكاناً في مركبه أو يتخذه كاتباً له يجلس أمامه أو إلى جانبه ويجوب الملك السماء ليلاً ولكن مع إله القمر، وفي السماء يدخل الملك حقل الأسل "يارو" حيث يزدهر الزرع، وينمو القمح والشعير الى ارتفاع سبعة أذرع ، فيجلس على عرش كبير ،

وتكرمه رعيته، ويقضي بينهم على نحو ما كان يفعل على الأرض، وبهذا لا يكون دخول جنة الأسل مقصوراً على الملك وحده بل يدخلها أتباعه وحاشيته والأبرار من شعبه[١٦] .

كما واعتقد المصريون أنَّ الروح يمكن أن تعاون المتوفى في التحدث مع الإله العظيم (رع) أو تقديم المتوفى له وأن لها امكانية البحث عن المؤن، واحضارها للمتوفى كي يأكلا معاً[١٧]، فالروح لديهم ينبغي أن لا تبقى بعيدة عن جسد صاحبها بعد الموت في الوقت الذي يتوجب تركها حرة لتعود الى مجرة المتوفى، وتبقى مع جسده لاسيما أثناء الليل حيث تحوم الشياطين حول الجبانات فتقوم (الكا) بحراسة ذلك الجسد بعد الموت كما رافقته منذ ولادته وحتى مماته[١٨]، وحينما يموت الإنسان يرقد جسده في القبر فيما تذهب (البا) الى العالم الاخرلترتبط بـ(لكا) التي تقترن باسم الكاهن الجنزي فهو يسمى خادم (الكا)[١٩]، فضلاً عن وجود طائفة خاصة من الخدم هم: (خدام الكا) الذين كان عليهم تموين موائد القرابين يومياً أو دورياً بألوان الطعام وتسكب عليها حاجتهم من الماء"[٢٠].

وقد آمن المصريون بإنَّ الموتى يعملون في آخرتهم في حقل البردي بزراعة الارض التي تعد احب الحرف ، ويجني هذا الفلاح " المتوفى " من عمله هذا ثمرة عظيمة تختلف اختلافاً كبيراً عما كان يجنيه في الحياة الدنيا فالقمح ينمو على ارتفاع سبعة اذرع ونصف، والسنبلة وحدها تربو على ثلاثة اذرع ونصف، فكان الموتى يعدون الأرض، ويبذرون البذور، ويحصدون المحصول، ويخزنونه ، ثم يلهون بلعب النرد في نهاية اليوم بعد الفراغ من العمل تحت ظلال شجرة الجميز [٢١].

والعالم السفلى ينقسم إلى اثنى عشر قسماً يوافق ساعات الليل الإثنتى عشرة، وتسمى هذه الأقسام بالحقول أو المغارات، ويتولى السيادة في كل منها أحد الآلهة وكما يجوب الفرعون مقاطعات بلاده أثناء حياته فإن الإله الشمس ينتقل بين هذه المغارات الواحدة تلو الأخرى، ويلقي أوامره إلى الآلهة التي توجد فيها فضلاً عن انه يوزع الحقول بينها وتتألف حاشية "رع" من آلهة شتى مع مصاحبة الإله المعين للمغارة أو الساعة المعينة من الليل ورحلته الليلية اليومية[٢٢]، ويفصل الأقاليم الاثنى عشر بعضها عن بعض بوابة ضخمة ، تحرسها ثعابين غلاظ ، وكان لابد لإله الشمس من معرفة أسماء هذه الثعابين والشياطين المختلفة ، فهي لا تغادر تلك البوابات حتى يتفوه بأسمائها ، وحينها تفتح البوابات ، ويمر زورق الشمس إلى اقليم جديد[٢٣] .

وتبدأ رحلة الإله الشمس التي تدوم اثنتي عشرة ساعة يومياً بولوجه في الأرض من الباب العظيم للأفق الغربي ، حتى يصل إلى آلهة العالم السفلي[٢٤]

فقد أعتقد المصريون القدماء إنَّ عامة البشر يسكنون في العالم السفلي على هيئة أشباح، يلقون التحية لإله الشمس، ويجرون قاربه أحياناً في ماء النهر، أما الفرعون المتوفى فإنه يأخذ مكانه مع إله الشمس في قاربه، ويصبح مثله فيسمح له بالإشتراك في سياحته الليلية العجيبة على شرط معرفته بأسماء الشياطين والثعابين السرية[٢٥] .

ولم يقتصر سفر الملك في زورق الإله الشمس فقط بل سرعان ما قلده عامة الناس في ذلك حتى سرى الاعتقاد بان كل ميت يمكنه مرافقه إله الشمس في سياحته الليلية، أو يقوم بها بنفسه كأنه إله الشمس بشرط معرفته للتعاويذ السحرية، وأن يكون في قبره وصف دقيق أو خارطة للعالم السفلي[٢٦] .

وفي الساعة الحادية عشرة تتم مشاهدة تعذيب أعداء "اوزيريس" ويتحول الحبل الذي يتم به جر السفينة إلى ثعبان، ثم تسحب السفينة من جوف الثعبان عند الموضع المسمى (نهاية السحر) وبعد أن استقر أحد الجعلان منذ الساعة العاشرة إلى جانب "رع" ، تخرج السفينة ثانية من بين فكي الثعبان ، فيصبح إله الشمس هذا الجعل ، أي أنه تحول إلى إله شمس الصباح ، وبينما يظل جسده القديم في العالم السفلي يستقبل شو الجعل، ويخرج الإله الجديد من العالم السفلي، ويستقر في زورق الصباح، ثم يصعد إلى حضن آلهة السماء، فتولد الشمس وهي تبدأ يومها الجديد[٢٧]، ثم تتولد من هذا إعتقاداً لدى المصريين بانهم سيبعثون احياءً، ولن يموتوا مثل اوزيريس في حياة جديدة وسعيدة، فاعتقدوا أن الميت سوف

يصحو ثانية على النحو الذي بعث به "اوزيريس" للحياة من جديد ليس على شكل شبح خيالي وانما في بعث مجسد لأن الآلهة جمعت عظام "اوزيريس" معاً، وأعادته إلى الحياة وإن "نوت" و" اوزيريس" سوف تقتربان منه حينما يموت، وتضم عظامه إلى بعضها من جديد، وتجمع له اعضاءه ، ويوضع قلبه في جسده، وستأتيه روحه، وتصاحبه من جديد (الكا) الخاصة به [٢٨] .

محاكمة أوزيريس

راجت عقيدة محاكمة الموتى أمام محكمة إلهية يتولى القضاء فيها " اوزيريس " نفسه بمساعدة " توت ، وانوبيس ، وتحوت ، ومعات ، واثنان وأربعون قاضياً " وراجت معها عبادة " اوزيريس " منذ أيام الدولة الوسطى ، إلاَّ أنَّ تعاظماً طرأ عليهما من حيث الشمول في عهد الدولة الحديثة ؛ لأن الفرد في المجتمع المصري القديم كان يرجو أن يكون مثل "اوزيريس" في الحياة الأخرى[٢٩] .

وفي الوقت الذي بدأت فيه عقيدة " اوزيريس " والحساب قريبة من قلوب كل الناس كان الإله " رع " مقدساً من قبل الفراعنة وموظفيهم ونبلائهم وكهنتهم الرسميين، إلا أن عقيدته لم تكن شعبية مع كثير من المصريين[٣٠] .

على أيِّ حال اعتقد المصريون بأن محكمة اوزيريس تقوم بالقرب من ابيدوس، أو في بوتو و ممفس[٣١] عند منتصف الليل ، وهي : المحكمة التي تشهد في كل مرة تبرئة أوزيريس من قبل تحوت[٣٢]

ويحضر هذه المحكمة جمع كبير برئاسة اوزيريس الذي يرمز له دائماً بشكل مومياء ذات لحية، وأحياناً يلبس التاج الأبيض أو التاج الأبيض الذي يحمل ريشتين ، وزوج من القرون المتصلة به، وهو يمسك الصولجان بيده اليمنى والسوط بيده اليسرى ويجلس على غطاء جنائزي مع أبواب مسمرة. ويقف خلف اوزيريس كل من ايزيس ونفتيس ، ويجلس انوبيس إلى يساره فهو الذي يتولى إدخال المتوفى إلى قاعة المحكمة . ويجلس تحوت (كاتب المحكمة) إلى يمينه. اما ابناء حورس فيقفون على وردة عروس النيل بالقرب من اوزيريس ، ويظهر بالقرب من عرش الاخير جلد ثور بلونين أسود وأبيض، مربوط إلى عمود اذ ان اجسام الملوك والرؤساء غالباً ما كانت توضع في جلود الثيران قبل دفنها ، ويسمى هذا الجلد مسكا، وهو اسم لمكان البعث في السماء ووضع عرش الإله فوق مياه من المحيط السماوي . أما جدران مزاره فكانت لهيباً من النار، يقف على ساحته صف من الكوبرا المقدسة ويحضر المحكمة الوحش المفترس عمعم ، أي الضاري وهو آكل الموتى من الاشرار ممن تدينهم المحكمة ، وهو يجمع في هيئته بين جاموس البحر والتمساح. فضلاً عن ذلك يوجد في قاعة المحكمة قرد برأس كلب ، يجلس على قمة عمود وقد انتخبه تحوت كشريك له لرؤيته الحادة ومقدرته الفائقة بالمراقبة[٣٣] .

أما القضاة الأثنان والأربعون فهم يمثلون بجسم إنسان ورأس صقر أو عقاب أو سبع او كبش او حيوان اخر، وعلى رأس كل منهم ريشة نعامة هي رمز للآلهة "معات" الهة الحق والعدالة، وفي يد كل منهم سكين. ومهمتهم ملاحظة ما يظهر في كفتي الميزان الذي يزن الحسنات والسيئات ومراقبة ذلك بكل دقة ، وتطبيق نتيجتها على أقوال الميت. اما عدد هؤلاء القضاه فقد تصاعد حتى وصل الى الرقم المذكور أي اثنين واربعين قاضياً، وهو عدد يمثل عدد اقاليم مصر[٣٤]، وقد أريد من وجود هؤلاء القضاة السيطرة على خليقة المتوفى من جميع أرجاء مصر القديمة[٣٥] .

يضاف إلى ذلك أنّ هنالك أربعة عشر من النواب ، وينتصب في وسط قاعة المحكمة ميزان كبير ، تظهر عليه رأس الحقيقة ، وتارة أخرى رأس انوبيس ، وتارة برأس تحوت[٣٦].

ويستعمل هذا الميزان لوزن القلب ، وهي الفكرة التي نشأت قبل نهاية الأسرة الرابعة[٣٧] . اذ تمثل كفتا الميزان في حالة توازن تام ، فإذا وزن القلب مستقر الإرادة ومصدر أفعال الإنسان فإنَّه يتساوى تماماً مع وزن الصدق الذي يعبر عنه بريشة آلهة الصدق أو بالأخيرة نفسها[٣٨].

واظهرت بعض الرسوم عملية وزن الجسم مقابل القلب ؛ لمعرفة ما إذا كان الجسم قد نفذ أوامر القلب. فقد ساد اعتقاد قديم بأن حساب الموتى يحدث في الجسد قبل قدوم الموتى إلى محكمة "اوزيريس"[٣٩].

وتبدأ المحاكمة بإدخال " انوبيس " للميت إلى قاعة المحكمة بعد أن يرتدي الميت ثوباً أبيض اللون ، فيقف مرتعداً خائفاً من هذه الساعة الرهيبة التي هي الفصل النهائي في امر خلاصه أو هلاكه الابدي فيلقي المتوفى التحية على جميع الآلهة الحاضرين وهو واقف على باب ردهة الحق، فيترافع عن نفسه قائلاً : " الخضوع لك أيها الإله العظيم ، جئت اليك يا رب خاشعاً ؛ لأعاين مجدك ، إني أعرفك ، وأعرف اسمك ، وأعرف أسماء الإثنين والأربعين قاضياً الجالسين معك في قاعة العدل ، لقد أتيت إليك متوسلاً بالحق ، لقد تخليت يا إلهي عن كل رذيلة ومعصية ؛ طمعاً في حبك ورضائك ، إني لم اسيء إلى احد ، ولم أظلم اسرتي ولم اسلك طريق الظالمين ، ولم أعمل ما يغضب الآلهة ، إني لم اسيء إلى خادم ، ولم أهمل الجائع والمسكين ، ولم أقتل ، ولم أحرض احداً على القتل ، إني لم أحنث في يمين ، ولم أسع في ضرر عبد عند سيده ، ولم أكذب ، ولم أضمر لأحد سوءاً ، ولم انتهك حرمة جثث الأموات، ولم أرتكب الفحشاء ، ولم أدنس معبداً مقدساً ، ولم أبخس المكيال ، ولم أتعد على أرض جاري ولا على ما خصص للآلهة من وقف""[٤٠] .

ويضيف إلى ذلك قائلاً : " أنا لم أَزد أو أنقص من الأرض ، أنا لم أجِر على حقول الاخرين ، أنا لم أضف إلى موازين الكفة ، لأغش البائع أنا لم اسيء قراءة مؤشر الكفتين لأغش المشتري ولم أغتصب اللبن من فم الرضيع ، ولم أقتنص طيور الآلهة ، ولم أطارد حيواناتها ، ولم اتصيد الاسماك المقدسة من بحيراتها " أنا لم أمنع الماء حين كان يجب أن يجري ، أنا لم اقطع قطعاً في قناة ماء جارية ، أنا لم أخمد ناراً او ضوءاً كان يجب أن تحترق وتتسع ، أنا لم اغتصب قطع اللحم ، أنا لم اطرد الماشية من أملاك الآلهة ،"ولم أعطل سير الآلهة عند خروجها، " ولم أحمل عاملاً على العمل فوق طاقته ، ولم أكن قوالاً ولا نماماً، ولم أتعد على كاهن قريتي المقدس وبعد هذا الدفاع الذي يقدمه المتوفى يقوده انوبيس ، ليدخل قاعة العدل ، فيقف أمام كل قاضٍ من القضاة الإثنين والأربعين كل على حدة ، ويدعوه بإسمه الذي يعرفه ، ويخاطبه متبرئاً من كل جريمة وخطيئة"[٤١] .

ويقول الميت : " أنا طاهر أنا طاهر أنا طاهر سلام عليكم أيها القضاة بقاعة الحق لا تنزلوا علي غضبكم ، ولا تقدموني إلى ألهكم الأعظم مذنباً ، ولا تكونوا سبباً في شقائي، قولوا إني بريء ، فإني لم أعمل إلاَّ ما هو حق بمصر ، ولم أسب الاله ، ولم أنسب الى الملك سوءاً الخضوع لكم أيها الآلهة خلصوني يوم الحساب العظيم ، إني لم أعمل سوء فلا تجعلوا للسوء اليَّ سبيلاً ، لقد أطعمت الجياع ، وسقيت العطشى ، وكسوت العراة . إذن فكونوا حماتي ، وخلصوني ، ولا تنسبوا اليَّ التهم في حضرة الإله الأعظم ، اني طاهر اللسان ، طاهر اليدين ، فقولوا لي مرحباً مرحباً أدخل بسلام "[٤٢] .

بعد ذلك يعرض قلب الميت على الميزان ، وتوزن أمامه ريشة إلهة العدالة، بهدف تحري مدى صدق قلب الميت وأقواله وأفعاله. وهو ما يثير الخوف في نفس المتوفى، فيخاطب قلبه قائلاً : " أيها القلب الذي خلقت لي ، وأنا خلقت لك في عالم التكوين ... فلا تسقط كفة الميزان أمام اوزيريس الإله العظيم والديان الرهيب فيوقف " انوبيس " ذبذبة الميزان ، ويعلن أن الكفتين متوازنتان فلا يبقى على "تحوت" إلا تسجيل النتيجة ؛ ليقرر إنتصار الميت ، وإنه " ماع خرو " أي المرحوم صادق القول لينظم إلى مملكة " اوزيريس فيسجل " تحوت " إله الحكمة النتيجة ، ويقول : " اسمعوا أيها القضاه لقد وزن قلبه ، فلم يوجد فيه إثم ، انه لم يعمل سوءاً في دنياه ، ولم يبدد شيئاً مما خصص للمعابد ، ولم يضر أحداً ، ولم يؤذ احداً ، أن ما نطق به هو الحق الذي لا يمكننا أن نفاوض فيه . فليدخل الآن إلى حضرة الإله اوزيريس ، ولنقدم له ا للحوم والشراب ، وليكن مسكنه من الأن نعيم الجنة " فينطق الإله اوزيريس بُحكمه قائلاً : " فليخرج الميت فائزاً من قاعة العدل ، وليذهب حيثما شاء ، ولتفتح له أبواب الجنة ، وليرد له قلبه ، ولتوهب له حياة جديدة "[٤٣] .

فقد تصور الإنسان المصري القديم وجود فردوس خاصة بالإله اوزيريس حيث حقول (يام) وأُخرى خاصة بالإله الشمس(٤٤) ، وقد تحدد مكان هذه الجنة على الأرض في الدولتين القديمة والوسطى . أما في الدولة الحديثة فقد أيد البعض وجود الجنة على الأرض لكنهم قالوا

أن جنة الملوك في سفينة الشمس . فهم مع الآلهة الذين يرأسهم "رع أو آمون رع " ، ولم تزل هذه العقيدة سائدة في الدولة الحديثة حتى بطل هذا المذهب ، فنشأ مذهب ثانٍ ، يقول : بأَن الجنة التي في سفينة الشمس هي جنة الملوك وغيرهم من عموم البشر ، وبطل الاعتقاد بأنها في الأرض كلها "(٤٥) .

واعتقد المصريون قديماً أن الميت الفائز يعد كأوزيريس ويسمى اوزيريس(٤٦)، بعد أن يأخذ " حورس " بيد المتوفى البريء والذي ثبت صدقه ، ويقدمه إلى اوزيريس فيقول له : "جئت اليك بالميت اوزيريس " ، وبفضل من اوزيريس يصبح الميت " ساهو – Sahu " أي روح الجسد ، فيمر إلى مملكة اوزيريس بهذا الشكل التي توجد على أرض مستوية ، تتخلل حقولها القنوات المائية ، ويسكن اوزيريس في جزءٍ منها ، وينغمس الموتى فيها بالزراعة والحراثة والحصاد ، وتوجيه الثيران ويرى فيها الموتى أرواح أجدادهم(٤٧) .

وأعتقد المصريون بإنَّ من يثاب من الموتى يقيم في السماء ، ويطلق عليهم السعداء أو الممجدون الذين يقطنون مكان يقع في الجانب الشرقي من السماء ، وأصبح لديهم النعيم الخالد وأنَّ هنالك ممجدين يقيمون في جزر السماء ، ومنها حقل يسمى حقل الطعام الذي يتناول الممجدون الأطعمة الشهية والمتجددة منه ، وأعتقدوا أيضاً بأن الميت يجلس في قاعة أمام اوزيريس ، ويخرج الى حقل " يارو " ، فيأكل خبزاً أو يكون له حقل من القمح والشعير يحصده خدام حورس فضلاً عن إمكانية الممجد ان يزرع ويحصد وأن يحوز النساء(٤٨) .

ولكن بلوغ هذا النعيم لا يتم دون مرور الميت بمخاوف تكتنف سبيله ، ولابد له أن يتغلب عليها في طريقه الى الجنة ، إذ يمر في مكان فيه غرف كثيرة ومظلمة تحت مراقبة الوحوش الضارية ، إلا أنه يمكن إتقاء تلك المخاطر بالإستعانة بكتاب الموتى الذي يحتوي تفاصيل تلك المهالك وأساليب التخلص منها(٤٩) .

وأخيراً يقدم للميت المتقي طعام مقدس تتحول روحه به إلى هيئة إلهية(٥٠) . أما إذا تبين خلال عملية وزن الأعمال أن المتهمين قد طغت سيئاتهم على حسناتهم فإنهم يسلمون على الفور إلى مخلوق غريب يشبه الكلب اسمه (باباي) ؛ لابتلاعهم(٥١) ، بعد أن ينطق أوزيريس بحكمه قائلاً : " أبعد عني أيها الشرير ، وأذهب الى حيث تلاقي أشد العذاب أيها القضاة اقتلوه بسيوفكم ، وتغذوا الآن من لحمه ودمه ، لقد جعلتك غنيمة للوحوش والافاعي "(٥٢). وبذلك فإن الفاشلين في المحاكمة يبقون في مقابرهم ، يعانون من الجوع والعطش ، ولا يأكلون إلا التماسيح البشعة ، ولا يرون الشمس(٥٣) .

فيما يكلف الأموات الذين تتساوى سيئاتهم مع حسناتهم بخدمة الإله اوزيريس وهم مثقلون

الهوامش

(١) استيندرف، ديانة قدماء المصريين، ترجمة سليم حسن، (مصر ، ١٩٢٣)، ص٩٨ .

(٢) نجيب ابراهيم، مصر والشرق الادنى القديم، ج٤، (مصر ، ١٩٦٠)، ص٢٠٣ .

(٣) تقي الدباغ، الفكر الديني القديم...، ص٩١ .

(٤) James Bonwick, Egyptian Belief and Modern Thought, (colorado, n.d), p,46 .

(٥) Shawn C. Knight, Ancient Egyptian Religion I, (Spring 2009), p3_4.

(٦) استيندرف، ديانة قدماء المصريين....، ص٩٠ .

(٧) Shawn C. Knight, Ancient Egyptian Religion , p4.

(٨) استيندرف، ديانة قدماء المصريين...، ص٨٩ .

(٩) تشرني، الديانة المصرية القديمة...، ص١٢٤ .

(١٠) المصدر نفسه ، ص١٦٣ .

(١١) عبد العزيز صالح، ماهية الانسان ومقوماته (العقائد المصرية القديمة)، مجلة كلية الاداب، ص١٦٠.

(١٢) عزت زكي، الموت والخلود في الأديان المختلفة ، (القاهرة، د.ت)، ص١٢ .

(١٣) تشرني، الديانة المصرية القديمة...، ص ص١١٢-١١٣ .

(١٤) استيندرف، ديانة قدماء المصريين...، ص٩٤.

(١٥) Budge, E. A. Wallis, The Book of the Dead, (England, 1922),p343.

(١٦) رزقانه واخرون ، حضارة مصر والشرق القديم...، ص٩٦ .

(١٧) برستيد، تطور الفكر الديني...، ص٩٠.

(١٨) استيندرف، ديانة قدماء المصريين...، ص٩٥ .

(١٩) نجيب ميخائيل ابراهيم، مصر والشرق الادنى القديم، ج٤، ص١٩١.

(٢٠) Budge, The Book of the Dead,p346.

(٢١) استيندرف، ديانة قدماء المصريين...، ص٩٢.

(٢٢) ارمان، ديانة مصر القديمة...، ص٢٦٣-٢٦٤ .

(٢٣) استيندرف، ديانة قدماء المصريين...، ص٩٨ .

(٢٤) ارمان، ديانة مصر القديمة...، ص٢٦٤ .

(٢٥) استيندرف، ديانة قدماء المصريين...، ص٩٨ .

(٢٦) المصدر نفسه، ص٩٨-٩٩ .

(٢٧) ارمان، ديانة مصر القديمة...، ص٢٦٦ .

(٢٨) الدباغ، الفكر الديني القديم...، ص٩٢ .

(٢٩) عبد القادر حمزة ، على هامش التاريخ المصري القديم ، (القاهرة : ١٩٥٧) ، ص٥٥ .

(٣٠) Budge, The Book of Dead, p. 21 .

(٣١) الدباغ ، الفكر الديني القديم ...، ص٩٢ .

(٣٢) Budge, The Book of Dead, p. 21 .

(٣٣) كتاب الموتى؛ استيندرف ،ديانة المصريين القدماء... ، ص١٠١.

(٣٤) بير مونتيه ، الحياة اليومية في مصر ...، ص٤١٣ .

(٣٥) جيمس هنري برستيد ، تطور الفكر الديني في مصر القديمة ، ترجمة: زكي سوس ، ص٤٠٥ .

(٣٦) مونتيه بير ، الحياة اليومية في مصر... ، ص٤١٣ .

(٣٧) بودج ، الديانة الفرعونية ...، ص١٥٠ .

(٣٨) تشرني ، الديانة المصرية القديمة...، ص١٢٥ .

(٣٩) E.A.Wallis Budge, The Egyptian Ideas of the future life : Egyptian Religion, (New York, 1959), p. 166 .

(٤٠) أ. ج. سبنسر ، الموتى وعالمهم في مصر القديمة ، ترجمة : احمد صليحه ، ص١٦٤.

(٤١) أ. ج. سبنسر ، الموتى وعالمهم في مصر القديمة....، ص١٧٤.

(٤٢) المصدر نفسه، ص١٧٥

(٤٣) عبد الحميد سالم ، الحضارة المصرية في العصور القديمة...، ص٤٤ .

(٤٤) الناضوري ، المصدر السابق ، ص ص٨٤-٨٥ .

(٤٥) انطون زكري، الادب والدين عند قدماء المصريين ، ص١١٤ .

(٤٦) المصدر نفسه ، ص١١٤ .

(٤٧) Budge, The Book of Dead, p. 31 .

[٤٨] محمد الخطيب ، حضارة مصر القديمة.... ، ص١٥٥ .

[٤٩] انطون زكري، الادب والدين عند قدماء المصريين... ، ص١١٥ .

[٥٠] عبد الحميد سالم ، الحضارة المصرية في العصور القديمة...، ص٤٤ .

[٥١] ارمان ، ديانة مصر القديمة ...، ص٢٥٩ .

[٥٢] عبد الحميد سالم ، الحضارة المصرية في العصور القديمة...، ص٤٤ .

[٥٣] ديورانت ، المصدر السابق ، ص١٦٣ .